خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز :

يحل مرة أخرى عيد الشباب المقترن بذكرى ميلادنا، فيطيب لنا أن نتوجه إليك بالخطاب، لنرسم لك الدور العظيم الذي أنطناه بشبيبتنا، ونظهرك على نصيبها الموفور في معركة البناء والتشييد بوطننا، موضحين الطريق الذي نبتغيه لسلوكها، وداعين إلى الغاية التي أخذنا على نفسنا عهدا ببلوغها وتحقيقها.

لقد أدركت الدولة حق الادراك ما لطاقة الشباب من قيمة في بلاد فتية كمملكتنا، فجندت للسهر على تكوينه وتوجيهه كل ما أوتيت من وسائل، وعبأت لاعداده ليتحمل مسؤوليات الغد كل ما تملك من إمكانيات، ليقينها بأن الفتيان والشبان من أجيالنا الصاعدة هم ورثتنا وخلفاؤنا من بعدنا في القيام بالمهام الجسام التي ستناط أمانتها بهم، حتى ينهضوا بها على النحو المطلوب الذي يرضي ضمائرنا، ويكفل تحقيق أمانينا.

إننا نعيش اليوم في عالم تقاربت أبعاده وتضاءلت مسافاته وأحست شعوبه بضرورة المسارعة الى تحقيق مطالبها وبلوغ رغائبها. ولما كانت دنيا اليوم في عجلتها لا تنتظر المتواكلين والخاملين فقد وجب علينا أن نسرع الخطى ونقطع المراحل والأشواط، وها أنتم اليوم معشر الشباب تواجهون أعمال البناء وتتطلعون الى مسؤوليات التشييد بعزم ثابت وإيمان راسخ، رائدكم في ذلك حبكم لوطنكم، وتعلقكم بمقدسات بلادكم.

ونحن مطمئنون الى حسن المآل، لما تنجزون من أعمال، وتحققون من آمال، وإن أبصارنا لتمتد الى مقاصدنا التي تهفو إليها نفوسنا وتتطلع إليها أفئدتنا. ولا نحرص في هذه الحياة إلا على أن نحقق لأمتنا ما تصبو إليه من فخار وعزة، وندرك ما تعلق به نفسها من رفعة ومكانة، حتى نصل مستقبلنا المشرق بماضينا الزاهر، فنضمن لأجيالنا اللاحقة حياة مليئة بالمفاخر، طافحة بالأمجاد، عامرة بالمكرمات.

لقد كان لشبابنا القدح المعلى في الكفاح من أجل استرداد الاستقلال واسترجاع الحرية فأكبرت الأمة كلها صنيعه الجميل، وخلدت في سفر تاريخها سعيه المشكور وجهاده المبرور. وبعد أن كلل الله جهود الملك والشعب بالفتح المبين والفوز المكين خاض شبابنا معركة البناء والتشييد بحماس متقد وعزيمة ماضية، وها هو اليوم مدعو الى مضاعفة الجهود ومواصلة المساعي لادراك ما بقي علينا إدراكه من مقاصد وأهداف. ولئن تحقق لبلدنا الحبيب من الأعمال فيما سلف من الأيام بفضل جهود شبابنا الطموح المتوثب، فإن نفوس أبنائنا السمحة الكريمة لا تقنع باليسير ولا ترضى بالتواني والتواكل، بل وهبها الله من حر المزايا وشريف الخصال ما يجعلها دائما متأهبة للقيام بصالح الأدوار.

إنك تعلم — شعبي العزيز — أن المغرب يعتبر بصفة عامة قطرا متخلفا، غير أنه يكفي أن نمعن النظر لنكتشف الكنوز والموارد التي يزخر بها وطننا. فالحقيقة هي أن المغرب ليس متخلفا، وإنما هو قطر ناقص النمو

لمواجهة المتطلبات التي يستوجبها تحسين مستوى الحياة. فموارده لا تستغل لحد الآن على النسق المطلوب المتعين، بل إن معظمها يضيع بسبب إنعدام الجهود الخلاقة والآراء المبتكرة. ويرجع السبب في هذه الحالة قبل كل شيء الى أن الأطر التي تمكنا من تكوينها قليلة العدد، ويجب أن نعترف بأننا لا نستخدمها في معظم الحالات على الطريقة المجدية النافعة. كما أن مرد هذه الحالة أيضا الى ضعف الوفر الوطني. فالمغرب لم يوفر إلا 11 في المائة من دخله، بينما إرتفعت نسبة هذا الوفر في كثير من الأقطار الى عشرين في المائة. ومن الحق أن هذه الظاهرة راجعة الى أن ثروات المغرب كانت في أيد أجنبية، وسنظل بدون هذا الوفر في حاجة الى المعونة الخارجية التي نعرف جميعا أنها غير مضمونة الاستمرار بصورة حتمية، وأنها قد تؤول الى الزوال في يوم من الأيام.

لذلك وجب علينا أن نبحث في نفسنا أولا ملتمسين الوقاية المطلوبة إذا أردنا أن لا يصبح المغرب قادرا على تغذية سكانه فحسب، بل يستطيع إسكانهم وتهذيبهم في ظروف مشرفة لنا، وجديرة بالعصر الذي نعيش فيه. ويتعين لتحقيق غايتنا هذه أن ننهض بكفاح حقيقي وأن نواظب عليه خلال شهور وأعوام دون أن يصيبنا السأم، أو ينال منا الفتور واليأس.

إن النمو في الحقيقة هو الاقتناع والايمان المتجدد كل يوم بإمكانيات بلادنا ومقدرات سكانها، وهو يتطلب من أطرنا التي نبذل كل شيء في سبيل مضاعفتها أن تجند قرائحها لايجاد الوسائل الكفيلة بدفع عربة الدولة الى الأمام، وأن تأخذ أمورها بالتنظيم وتتعاون فيما بينها لتنسيق مجهوداتها وتعويض نقصها العددي بشحذ روح المبادرة والابتكار فيها.

إن تصميمنا للتنمية يرتكز على الفلاحة، لذلك كان تحسين فلاحتنا يستلزم تعبئة جميع الطاقات وتجنيد كل القوى الموجودة أكثر مما تستوجبه الميادين الأخرى، وقوة الفلاحين أنفسهم هي في طليعة ما نعول عليه نظرا لما يتوفرون عليه من قدرة على العمل، ولما يتعين عليهم من الوصول الى إستغلال ظروف الطبيعة لصالحهم، فمن الحق أن تقلبات الطقس تقسو علينا في بعض الأحيان، وقد أصبحت هذه الظاهرة تحدث بصورة تكاد تكون دورية، وسبق لأجدادنا أن واجهوها في كثير من أطوار تاريخهم، وقد كان المغرب يصدر الحبوب الى وقت قريب فإذا به يصبح اليوم مضطرا الى إستيراد ما يحتاج لقوته من القمح، نظرا لتكاثر سكانه وركود إنتاجه منذ أعوام، فلقد ظل إنتاج المغرب خلال الأعوام الخمسة والعشرين المنصرمة إنتاجا راكدا لا يتجاوز تسعة وعشرين مليون قنطار في السنوات العادية، ويقارب خمسة عشر مليون قنطار في السنوات العجاف كسنتنا هذه، وأصبح سكان المغرب ثلاثة عشر مليون نسمة بعد أن كان مجموعهم آنذاك لا يتعدى تسعة ملايين.

لذلك كان لزاما على كل فلاح مغربي أن يأخذ نفسه بزيادة الانتاج وتحسين نوعه ويجتهد لبلوغ هذه الغاية في استعمال الأسمدة والبذور الجيدة لرفع الانتاج بإخصاب الأرض والعناية بالمزروعات ووقاية الأشجار المثمرة، والحرص على كل قطرة من الماء، بالحيلولة بينها وبين الانسياب الى البحر إنسيابا يجرف معه كل سنة ما يقارب أربعين ألف هكتار بسبب إنعدام العناية بالتربة ووقايتها.

ومع ذلك فلم تفتأ الدولة تبذل مجهوداتها العظيمة لاحياء الأرض منذ حصولنا على الاستقلال، فلقد أسست معملين للسكر يستندان في صناعتهما على زراعة الشمندر، وبلغت تكاليف معمل سيدي سليمان 68 مليون درهم، بينما بلغت تكاليف معمل تادلة 86 مليون درهم، وهكذا نرى أن الدولة تعنى بالزراعة والصناعة معا، ولم تفتأ زراعة القطن تتسع مساحتها بناحية تادلة حتى أصبحت الآن عشرين ألف هكتار بعد

أن كانت لا تتجاوز 6 آلاف هكتار.

وتقوم الدولة أيضا ببناء سدود كبيرة كسد مشرع قليلة الذي سيكلف ستمائة مليون درهم وسيسقي ستة وعشرين ألف هكتار، ونحن نذكر جميعا سد زيز لأن كل مواطن مغربي يساهم حقا في بنائه بما يتحمل من التضحية في أداء ثمن السكر. وستعادل تكاليفه ما سننفق على سد تساوت، كما أن المساحة التي سيسقيها ستكون مساوية للمساحة التي سيرويها هذا السد أيضا، وهو سيحول بالاضافة الى ذلك دون حدوث الفيضانات الدورية التي تجتاح إقليم تافيلالت وتلحق به أفدح الخسائر والاتلاف، ولا ننسى أن نذكر في هذا المجال سد زاوية نورباز على نهر درعة أيضا.

وسيتم عما قريب بحول الله إنهاء الدراسات المتعلقة بحوض سبو والتي ستسفر عن بناء ثلاثة سدود على مجراه، وتباشر الدولة في النهاية مشروع إستصلاح الريف الغربي، بالتعاون مع بعض المنظمات الدولية والأقطار الصديقة، حتى تساهم في إنقاذ هذه الناحية من الفاقة والبؤس، وإن هذا المجهود الذي يفوق الوسائل العادية التي تتوفر عليها الدولة سيبقى ناقصا ما لم يضاعف الفنيون والفلاحون مجهوداتهم ويواصلوا بذلها من غير فتور أو إنقطاع.

ومن الحق أن السكان يساهمون في مجهود الدولة بواسطة منظمة الانعاش الوطني التي باشرت منذ شهر يوليوز لسنة إحدى وستين وتسعمائة وألف ما يزيد على سبعين مليون من أيام العمل، بمعنى أن خمسة وستين ألف رجل يعملون بإستمرار طيلة السنة كلها. وقد أسفر هذا العمل عن زرع مائة وعشرين مليون شجرة، بالاضافة الى إحياء ستة وستين ألف هكتار من الأراضي وتشجير ستين ألف هكتار أخرى. كما أسفر ذلك العمل عن مد ثلاثة آلاف وخمسمائة كيلومتر من القنوات والسواقي والقطارات التي أدت الى تحسين الانتاج في مساحة تقارب ثلاثين ألف هكتار، بالاضافة الى بناء سدود متوسطة عديدة بنواحي الجنوب وشق وتعبيد ممرات وطرق يقارب إمتدادها عشرين ألف كيلومتر، وبناء تسعة آلاف مسكن ومضاعفة عدد القناطر والأسواق ومخازن الماء.

ولكن مهما تكن نتائج الانعاش الوطني مشجعة فإن هذه المؤسسة بحاجة لكي تؤدي مهمتها على الوجه المطلوب الى الارتقاء من 15 مليون من أيام العمل في السنة الى 25 مليون من الأيام، وكذلك الى مضاعفة عدد الهكتارات التي تم زرعها أو بوشر إحياؤها. ولقد رصدت الدولة 200 مليون درهم للانعاش الوطني، وليس في المستطاع أن يتسع ميدان مؤسستنا هذه إلا إذا أقبل الفلاحون على العمل عن طواعية وإختيار مقابل أجر زهيد، إدراكا منهم بأنهم يعملون لمصلحتهم ومستقبلهم، وإقتناعا منهم بأنهم لا يأخذون صدقة يجاد عليهم بها في أوراش لم تستحدث إلا لمكافحة البطالة.

ونحن لا نتوجه بكلامنا هذا الى الفلاحين وحدهم، بل نوجهه قبل كل شيء الى الشبان كافة ليدركوا المدلول الحقيقي للانعاش الوطني الذي أنشيء لخدمتهم وأصبح نجاحه اليوم مرهونا بهم، ونحن نعلم أيضا أن تحقيق نمونا منوط بتكوين أطرنا، فلقد أكدنا عدة مرات أننا مفتقرون الى الأطر المقتدرة الكفيلة بإنجاح جميع مشاريعنا ومساعينا، وأن الجهود المشكورة لتعوزها الفعالية المطلوبة ما لم تتوفر لدينا تلك الأطر المرغوبة، ومن الواجب علينا أن نكثر من إنتاجنا بعد أن تعددت حاجياتنا وتكاثر نسلنا، وليس في الامكان أن يتحقق ذلك الانتاج ما لم تواكبه تلك الأطر، ولذلك فنحن لم ندخر مجهودا في سبيل جعل التعليم يستوعب جميع فتياتنا وشباننا، فلقد ضاعفنا عدد المدارس وكونا آلاف المعلمين والأساتذة، بحيث ان عدد التلاميذ في التعليم الابتدائي لم يكن يتعدى ثلاثمائة آلاف عند إعلان الاستقلال، فإذا به اليوم يزيد على هذا العدد بمليون.

وإذا رجعنا الى ميزانية الدولة اليوم وجدنا أن تكاليف التكوين في نطاق التصميم الثلاثي تستنزف منها ما لا يقل عن مليارين من الدراهم، ولكن ما هي الفائدة من التعليم لذاته يا ترى؟ إن التعليم لا يتخذ مدلوله الحق إلا إذا أضبح كفيلا بتحويل حياتنا، وكان أهلا ليصير تعليما مطبقا في جميع مجالات العمل، وليست للمدرسة على تفاوت مستوياتها أية قيمة إذا لم تكن مدرسة لتلقين الأخلاق وتعميم العمل معا.

ويمكن أن نتخذ السياحة سندا لنمونا، فالقرن العشرون لا يسمح بوجود قطر منكمش على نفسه، وشبان الأقطار الأخرى يتطلعون الى التزاور والتعارف لمقارنة المنجزات التي حققتها بلدانهم في مختلف الميادين وشتى المجالات، فالذين يفدون منهم على المغرب يعجبون بجمال مناظر بلادنا وكرم الضيافة التي عرف بها مواطنونا، وهم يقتنعون كما نحن مقتنعون بأن المغرب غني بموارد لا يستغلها الاستغلال الكامل المرغوب، وأن ما يعوزه أكثر من أي شيء آخر هو الاحساس بالتضامن الجماعي والايمان بنفسه إيمانا يكفل له إحياء أرضه وإستثمارها الاستثمار الشامل المطلوب.

غير أن جميع هذه الاختيارات وكل ما تبذله الدولة من مجهودات ستظل عقيمة إذا لم تنبعث فينا وتنطلق منها حياة جماعية حقيقية تنتظم الأمة كلها، وإذا لم يدرك كل إقليم، بل كل جماعة ومدشر، حقائق البلاد ويتفهم مشكلاتها، ولم يساهم في حلها بكل ما أوتي من قوة وطاقة، فأعمار ستة وأربعين في المائة من سكان مملكتنا تقل عن خمسة عشر عاما، وسترتفع هذه النسبة الى خمسين في المائة بعد عشرين سنة، ويعني هذا التكاثر أن الدولة تنتظرها تكاليف تعظم يوما بعد يوم في سعيها لتلبية مطالب هذا العدد المتزايد من الجماهير في العلاج والتعليم والسكن والعمل، بل وحتى في التغذية نفسها، فأربعمائة وخمسون ألفا من الأطفال المغاربة يولدون كل سنة، وعلينا أن نضمن إطعامهم في الحال، ونكفل تعليمهم وتشغيلهم في غد غير بعيد.

فعلى كل واحد من المواطنين أن ينعم النظر مفكرا في نتائج بعض هذه الأرقام، لا ليستسلم لليأس، ولكن ليدرك حق الادراك ضخامة هذه المشكلة وما تنطوي عليه من جليل المصاعب ويتضح مما أسلفناه من الأرقام أن الدولة بمفردها لن تستطيع التغلب على هذه المشكلات، وأنه ليس في مقدورها أن تحقق النمو المطلوب، لذلك كان الرأي الأساسي في التنمية هو العمل الجماعي المشترك، فنحن نرى في الأقطار المتطورة بالذات أن الدولة إذا كانت تنهض بالتجهيز الأساسي من تعبيد الطرق الرئيسية وبناء السدود ومعامل الكهرباء ومد السكك الحديدية وتشييد الموانىء فإن المجالس الاقليمية والجماعات المحلية تتكفل بالقسط الأوفى من وسائل التجهيز والاحياء.

ورغبة منا في بلوغ هذه الغاية سنعمل على تعزيز وتنشيط التعاون بين مبادرة الدولة ومبادرة الجماعات، مستهدفين تركيز نشاطنا الاقتصادي على تنمية الأقاليم بصورة أخص فيما سنستقبل من الأيام. فعلى كل إقليم أن يحيط بحقائقه ومشكلاته ويعبىء كافة وسائله وجميع موارده لتسخيرها في تطبيق برنامج عمله.

وعلى أفراد أطرنا الفتية أن يجدوا في هذا المجال الفرصة المواتية لابراز مدى مواهبهم وكفاياتهم، شريطة أن يهجروا المدن الكبرى الى الأقاليم النائية ليعالجوا في عين المكان ما يعترض سبيلها من مشكلات، وبهذه الوسيلة وحدها سنخلق قطرا جديدا بفضل عملنا وشعبنا وعرقنا، وسننقذ أمتنا الى الأبد من مخالب البؤس والتبعية والحاجة، وننفخ فيها روح الاعتزاز والكرامة.

شعبي العزيز :

هذه هي جهود الدولة وهذه هي الجهود التي تنتظرنا جميعا وتتطلب منا جميعا أن ننصرف إليها إنصرافا

نرجو من ورائه أن نكون قد أدينا ما علينا من واجب وما حملناه من أمانة، وإنه لمن حسن حظنا جميعا أن يكون الزمن الذي نعيش فيه زمانا لا يقبل الركون الى الراحة والاخلاد الى السكون، وإنما هو زمان حركة دائبة وحيوية شاملة، فمن حسن طالعنا أن نكون من أولئك الرجال الذين تفرض عليهم الظروف أن يعملوا باسترسال لوضع أسس مستقبل البلاد وتثبيت دعائمه وأركانه.

لقد عرف أبناء المغرب منذ أقدم العصور بشيم الشجاعة والاقدام والايثار، ولم تنفصل في يوم من الأيام هذه الشيم والمزايا عن مادتها الأصيلة من قوة المعنوية ورصيدها الخالص من متانة الارادة، فبهذه المعنوية وهذه الارادة يتعين علينا أن نتناول المشاكل التي يمكن أن تعترض سبيلنا وأن نجد الحلول المناسبة لطبيعة بلادنا وعبقرية شعبنا، والخليقة بسد حاجياتنا والمطابقة لحقائق واقعنا.

أيها الشباب :

إن الأمجاد التي أقام آباؤكم معالمها وشيدوا صروحها تقتضي منكم الابقاء عليها والمحافظة، وعليكم المعول في بناء صروح جديدة لمفاخر طريفة تضاف الى أمجادنا التليدة، فإنكم إن إستجبتم لداعي الواجب ولبيتم نداء وطنكم أفدتم أجمل الفوائد لأنفسكم واكسبتم أبناءكم والأجيال القادمة والبلاد بأجمعها ثراء الى ثراء وعزا الى عز وسؤددا الى سؤدد، وإننا لواثقون من أنكم ستكونون دائما في مستوى المسؤوليات وأكفاء للأعباء والواجبات، نسأل الله الذي ما خيب مسعى سعيناه ولا رجاء أملناه أن يكلل جهودنا وجهودكم بالتوفيق والسداد، إنه ولي الهداية والرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

السبت 20 ربيع الأول 1386 — 9 يوليوز 1966